السراج الوهاج

للمعتمر والحاج

لفضيلة الشيخ العلامة

عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

حفظه الله ورعاه

إعــداد الفقير إلى عفو ربه

أبو أنس علي بن حسين أبو لوز

الحمد لله الذي سهل طريق العبادة، وأحكم كل ما فرضه وأراده، وبين شرائع دينه ونفذ مراده، أحمده سبحانه وأشكره وقد تأذن للشاكرين بالزيادة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وآمل أن يختم لي بمثل هذه الشهادة، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأولاده وأحفاده وسلم تسليمًا كثيرًا.

وبعد فقد كنت ألقيت محاضرة في بعض المساجد بمناسبة موسم الحج تكلمت فيها على المناسك ومنافع الإحرام والطواف والسعي والوقوف والتلبية ونحوها، ثم إن بعض الإخوان قام بتفريغها من الأشرطة التي سجلت بها، وعرضها علي فأصلحت فيها الأخطاء التي نتجت عن الارتجال، وكملت ما نقص منها كأعمال يوم النحر وطواف الوداع، وأضفت إليها مقالًا كنت قد كتبته فيما يتعلق بزيارة المسجد النبوي، وختمتها بخاتمة تتعلق بالتوبة النصوح، وحال من أدى هذه المناسك بعد رجوعه، وعلامات قبول الحج أو رده، وما ينبغي أن يكون عليه بقية حياته ونحو ذلك للحاجة الماسة إلى ذلك، وأذنت بطبع هذه المحاضرة وما أضيف إليها رجاء أن يعم النفع بها من أراد الله به خيرًا، مع علمي بالقصور وضعف المادة العلمية معي، وأن الكثير من أكابر العلماء قديمًا وحديثًا قد كتبوا في المناسك وتوسعوا أو اختصروا، وقلت الحاجة إلى إضافة شيء جديد، ولكن لكل مجتهد نصيب، وقد يكون فيما كتبته أو قلته تنبيه أو توضيح لشيء قد يخفى على البعض، وقد رأينا كثرة الجهل في من يؤدي هذه المناسك، ووقوع المخالفات التي تقع من الجماهير عن تقليد أو ظن خاطئ، ثم بعد الوقوع يستفصل عن الحكم فيقع في حرج ومشقة، وكان الأولى أن يتأكد من الأعمال قبل مباشرتها، فعلى المسلم أن يكون على بصيرة من دينه، وأن يحرص على براءة ذمته مما أوجب الله عليه حتى يخرج من العهدة، والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

السراج الوهاج
للمعتمر والحاج

بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار الوطن للنشر، ١٤١٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الجبرين، عبدالله بن عبدالرحمن.

السراج الوهاج للمعتمر والحاج / إعداد أبو أنس علي ابن حسين أبو لوز .ـ الرياض .

١٤٤ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ١ - ٠٥٥ - ٢٨ - ٩٩٦٠

١- الحج ٢- العمرة

أ- أبو لوز، علي بن حسين (معد) ب- العنوان

ديوي ٢٥٢,٥ ١٦/٣١٦٩

رقم الإيداع: ١٦/٣١٦٩

ردمك: ١ - ٠٥٥ - ٢٨ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ

تقديم فضيلة الشيخ العلامة
عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

الحمد لله الذي سهَّل طريق العبادة، وأحكمَ كل ما فرضه وأراده، وبيَّن شرائع دينه ونفَّذ مراده، أحمده سبحانه وأَشكره، وقد تأذَّن للشاكرين بالزيادة، وأشهدُ أن لاإله إلَّا الله وحده لاشريك له، وآمل أن يُختم لي بمثل هذه الشهادة، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأولاده وأحفاده، وسلم تسليمًا كثيرًا، **وبعـد:**

فقد كنت ألقيتُ محاضرة في بعض المساجد بمناسبة موسم الحج، تكلمت فيها على المناسك، ومنافع الإحرام والطواف والسعي، والوقوف والتلبية ونحوها، ثم إن بعض الإخوان قام بتفريغها من الأشرطة التي سُجلت بها، وعرضها عليَّ، فأصلحت فيها الأخطاء التي نتجت عن الارتجال، وكمَّلت مانقص منها كأعمال يوم النحر، وطواف الوداع، وأضفت إليها مقالاً كنت قد كتبته فيما يتعلق بزيارة المسجد النبوي، وختمتها بخاتمة تتعلَّق بالتوبة النصوح، وحال من أدَّى هذه المناسك بعد رجوعه، وعلامات قبول الحج أو ردِّه، وماينبغي أن يكون عليه بقية حياته، وذلك للحاجة الماسة إلى ذلك.

وأذنت بطبع هذه المحاضرة وما أُضيف إليها، رجاء أن يعم النفع بها من أراد الله به خيرًا، مع علمي بالقصور، وضعف المادة العلمية معي، وأن الكثير من أكابر العلماء قديمًا وحديثًا قد كتبوا في

المناسك وتوسعوا، أو اختصروا، وقلَّت الحاجة إلى إضافة شيء جديد، ولكن لكل مجتهد نصيب، وقد يكون فيما كتبته أو قلته تنبيه أو توضيح لشيء قد يخفى على البعض.

وقد رأينا كثرة الجهل في من يؤدي هذه المناسك، ووقوع المخالفات التي تقع من الجماهير، عن تقليد أو ظن خاطيء ثم بعد الوقوع يستفصل عن الحكم، فيقع في حرج ومشقة، وكان الأولى أن يتأكد من الأَعمال قبل مباشرتها، فعلى المسلم أن يكون على بصيرة من دينه، وأن يحرص على براءة ذمته مما أوجب الله عليه، حتى يخرج من العهدة، والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد أرسل الله سبحانه محمدًا بالحق بشيرًا ونذيرًا، وأمره بأن يبين للناس ما نزِّل إليهم، وأن يبين لهم شريعتهم، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾. [سورة النحل، الآية: ٤٤].

فبيَّن لهم ﷺ هذا الدين الذي بُعث به وأمر بتبليغه، وبين أن لهذا الدين أركان، بقوله ﷺ: «**بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً**».

فبدأ بالشهادتين وبيَّن مايدخل فيهما، ودعى إلى التوحيد أكثر عمره في مكة، أي نحو عشر سنين.

ثم بعد مضي العشر بدأ في بيان الركن الثاني وهو الصلاة، حيث فُرضت عليه فأقامها بمكة ثلاث سنين وبقية عمره أيضاً بالمدينة.

وفُرضت عليه قرينتها -وهي الزكاة- في المدينة، وهي الركن الثالث من الأركان، وقد بين أحكامها ﷺ أتم بيان.

وفرض عليه الركن الرابع ـ وهو الصوم ـ بالمدينة، فبينه بقوله وفعله ﷺ.

وفرض عليه الركن الخامس وهو الحج إلى بيت الله الحرام، وقيل: أنه فرض في السنة السادسة من الهجرة. وقيل: في السنة التاسعة وهو الصحيح الذي تدل عليه الأدلة.

والحج كما هو معلوم كان مأمورًا به من قبل، ولكن لم يفرض إلاَّ في السنة التاسعة كما ذكرنا، ولم يتمكن النبي ﷺ من أدائه وبيانه بالفعل إلاَّ في السنة العاشرة فعند ذلك بيّنه ﷺ بقوله وفعله بأدائه كاملاً، وكان ﷺ يحث أصحابه على أن يحفظوا عنه المناسك، فكان يقول ﷺ: «**خذوا عني مناسككم، فلعلي لا أراكم بعد عامي هذا**». وعاش بعد ذلك نحو إحدىٰ وثمانين أو اثنتين وثمانين ليلة، وختمت بذلك حياته وانتقل إلى الرفيق الأَعلى ﷺ.

وقد احتفظ صحابته ببيانه، وبما بلَّغه ﷺ في هذا الركن العظيم وفي غيره من الأركان.

لقد أعلن النبي ﷺ للناس بأنه سوف يحج في ذلك العام في سنة عشر، فلما أعلنه وأظهره توافد كثير ممن حول المدينة، إلى المدينة، وقصدهم صحبة النبي ﷺ والسفر معه؛ حتى يؤدوا المناسك مثل مايؤديها، واجتمع في المدينة خلق كثير، أما الذين لم يتمكنوا من المجيء إلى المدينة، فإنهم توجهوا من بلادهم التي هم فيها إلى مكة مباشرة.

وكانت مكة قد طُهِّرَت من الأصنام ومن المشركين ومن العادات الجاهلية، وذلك لأن النبي ﷺ أرسل أبا بكر وغيره من الصحابة في سنة تسع، وأمرهم بأن ينادوا: «**أن لايحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان**». فنادوا بذلك، فعرف الناس هذا الحكم، فلم

يطف بالبيت عريان بعد ذلك العام، ولم يحج أحد من المشركين حيث أن الله أظهر حرمة مكة وقداستها، ونهى المشركين أن يدخلوها.

وسوف نتناول هذه الفريضة، فضلها وأحكامها مستعرضين ماقد يقع فيه البعض من قصور أو أخطاء في أداء تلك المناسك، ونحرص أن نذكر شيئاً من الحِكَمْ التي تعين العبد أن يعلم الحكمة والمصلحة التي شرعت لأجلها هذه العبادة، فإن معرفة العبد للحكمة والمصلحة تشرح قلبه، وتجعله يدرك أن الله تعالى ماشرع شيئًّا إلاَّ وفيه مصلحة، وأنه ليس شيء من أحكام الله شُرِّع عبثًا بل كل نسك من تلك النسائك، وكل عبادة من تلك العبادات فيها مصلحة ظاهرة جليَّة، فيحرص أن يتأثر بها، وأن تبقى آثارها عليه بقية حياته.

نسأل الله أن يرزقنا حجًا مبرورًا، وذنبًا مغفورًا، وسعيًا مشكورًا، وعملاً صالحًا مقبولاً، والله أعلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

البيت العتيق

الحج كما ذكرنا ركنٌ من أركان الإسلام، وقد كان معمولاً به في الشرائع السابقة. فقد ذكر المؤرخون أن الله تعالى أنزل هذا البيت العتيق لآدم عليه السلام لما هبط إلى الأرض، فأحب أن يكون له موضع يقصده، ويتعبَّد فيه، ويطوف به كما تطوف الملائكة بالبيت المعمور. فعند ذلك جعل الله له هذا البيت العتيق ليتعبد فيه. ثم أخبر عليه الصلاة والسلام بأن الأنبياء، قد قصدوه، فقصده نوحٌ وهود وصالح ونحوه من الأنبياء عليهم السلام، وذكر ﷺ أنهم توجهوا إليه، يُلبُّون على رواحلهم قاصدين أداء المناسك في تلك المشاعر المفضَّلة.

وهكذا استمروا، ولكن مع توالي السنين انهدم البيت وبقي مكانه مرتفعاً، حتى جدده إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾. [سورة الحج، الآية: ٢٦]. يعني أخبرناه بموضعه الذي كان موجوداً فيه حتى يعيد بناءه، فأعاده هو وإسماعيل عليهما السلام، قال الله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾. [سورة البقرة، الآية: ١٢٥]

وأخبر بأنه أقامه هو وابنه إسماعيل عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ﴾. [سورة البقرة، الآية: ١٢٧]

هكذا جدده إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وبقي مقصوداً

تعترف به العرب؛ بل وتعدُّه فخرها وعزّها وذخرها، ويأتون إليه من أماكن بعيدة، يؤدون فيه المناسك، فيطوفون، ويسعون ويعتمرون، ويحجون ويذهبون إلى المناسك والمشاعر التي حوله، ويرجعون وقد تزودوا بما تزودوا به من الأعمال.

لكن مع توالي الجهل، ومرور السنين أحدثوا فيه أحداثاً، وجعلوا فيه بدعاً ومنكرات ليست من الدين، والذي حملهم على ذلك جهلهم، فكان ولابد أن يكون هناك من يجدد هذه المشاعر، فبعث الله نبيه ﷺ، وحج بالناس في سنة عشر، وأعاد المناسك إلى ماكانت عليه في عهد أبيه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وردّ كل المحدثات التي أقامها المشركون، سواء كانت قولية أم فعلية، وعاد الناس إلى معرفة الأحكام، ومعرفة ماعليهم، وهو الذي بقي - والحمد لله - إلى هذا الزمان.

وقد أظهر الله تعالى حرمة مكة وقداستها ونهى المشركين أن يدخلوها ونهى المؤمنين أن يُمكِّنوا المشركين من دخولها، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾. [سورة التوبة، الآية: ٢٨]. وقد امتثل المسلمون لذلك إلى زماننا هذا، فلايجوز لأيِّ كافر أو مشرك أن يدخل مكة.

وهكذا بقيت مكة - والحمد لله - مصونة ومحفوظة من المشركين، لايدخلها إلاَّ الموحدون المسلمون، وذلك لأنها البقعة المباركة المشرفة التي لها فضلها، وبها المسجد الحرام الذي أخبر الله بفضله، وسماه بهذا الإسم، فقال تعالى: ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾. [سورة الفتح، الآية: ٢٨]

وقد أخبرَ النبي ﷺ بقدسية ذلك المسجد وبأهميته، فقال ﷺ: **«فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مئة ألف صلاة، وفي مسجدي ألف صلاة، وفي مسجد بيت المقدس خمس مئة صلاة»**.

فأخبر بفضل هذه المساجد الثلاثة، فالصلاة في المسجد الأقصى بخمسمائة، والمسجد النبوي بألف، والمسجد الحرام بمائة ألف.

والصلاة الواحدة تعدل هذا الفضل! وما ذاك إلاَّ لشرف المكان وَقِدَم العبادة، ولأنه قبلة المسلمين الذين يهوون إليه في كل زمان ومكان.

فلما كانت هذه مكانته، كان مخصوصاً لأن يكون محلاً لأداء المناسك والعبادات، فالحجُّ لايكون إلاَّ إلى مكة، والعمرة لاتكون إلاَّ إلى مكة، ولايكون الطواف إلاَّ بالبيت، فلا توجد بقعة أو تربة يجوز أن يُطاف بها إلا البيت العتيق، ومن هنا تستمد أهميته ومكانته.

واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى

العبادات التي يُتعبد بها في مكة المكرمة لاشك أنها قرباتٌ يُتقرب بها إلى الله تعالى، وذلك لأنه هو المعبود وحدَه، ولأن تلك الأماكن لها فضلها، ولها ميزتها، وتضاعف فيها العبادة، فيقصدها المؤمنون لمضاعفة أجر العبادة فيها، وهم يعرفون أن الله تعالى هو المعبود، بخلاف المشركين الأولين، فإنهم كانوا يعتقدون أن المعبود هو أصنامهم التي كانوا يعظمونها في تلك البقاع، فمحا الإسلام ذلك، وجعل التعظيم لله تعالى وحده.

وإنَّ تعظيم تلك المشاعر تعظيمٌ للرب الذي شرع تلك المشاعر وتلك الحرمات، فقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ .[سورة الحج، الآية: ٢٦] . بدأ بالنهي عن الشرك، وذلك حتى لايتخذ ذلك الموقع معبداً لغير الله، تعبد فيه الأصنام، ثم قال تعالى: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾. [سورة الحج، الآية: ٢٦].

أمر بأن يُطهَّر وليس التطهير بغسله بالماء، ولكن تطهيره من الأقذار والأرجاس والأنجاس والشركيات والبدع والمحدثات، فيطهره من هذه الأشياء، لأنه مكان مقدس، ولأنه موضع العبادة.

وأمر بأن يُطهَّر ، لأن هناك من يقصده لأن يطوف به، والطواف عبادة، وهناك من يقصده لأجل الاعتكاف فيه، والاعتكاف عبادة، وهناك من يقصده للصلاة فيه، أي: الصلاة التي هي قيام وقعود، وركوع وسجود، وهي كلها عبادة. فأمر بأن يكون المكان نظيفاً طاهراً

من الأرجاس والأنجاس والشركيات والبدعيات ونحوها.

وَقد جعَل الله سبحانه وتعالى تلك البقاع بقاعاً آمنة مقدسة، وأبقى فيها الآيات التي هي من آيات الله تعالى الكونية، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾. [سورة آل عمران، الآيتان: ٩٦، ٩٧]..

ومن هذه الآيات البيِّنات التي لاتزال فيه مقامُ إبراهيم عليه السلام الذي كان يقوم عليه، فإنه لما كان يبني البيت ظهرت آثار قدمه على الحجر مع طول مقامه ووقوفه عليه، فأصبح ذلك الحجر آية من آيات الله الباقية.

يقول أبو طالب:

وموطيءُ إبراهيمَ في الصخر رطبةٌ
على قدميه غير ناعل

هذاالمقام جُعل آية من آيات الله، وجُعِلَ في هذا المكان، وأمر المصلون بأن يصلوا خلف المقام، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾. [سورة البقرة، الآية: ١٢٥]. أي: صلُّوا عنده، وصلاتكم تكون لربكم وحده، وإنما يكون ذلك المقام، وذلك البيت قبلة لكم تتوجهون إليه.

وهذا البيت الذي أمر الله بتطهيره في قوله تعالى: ﴿أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ﴾. [سورة البقرة، الآية: ١٢٥]. له أهمِّيَّته، وله مكانته، وله منزلته في النفوس، ولأجل ذلك فإنَّ قلوب العباد تتجِّه إليه،

وتعلَّق به، في شرق البلاد وغربها، وفي قريبها وبعيدها، حيث إنَّه قبلتهم التي يتوجَّهون إليها في صلاتهم، وفي أدعيتهم، قال الله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾. [سورة البقرة، الآية: ١٤٤] .

فالمسلمون في بقاع الأرض عندما يتوجهون في صلاتهم يستقبلون هذا البيت، وهذا الاستقبال بلا شك يبعث هممهم ويحرك بواعثهم وقلوبهم على الإكثار من زيارته والتردد إليه، حيث إنه البيت المعظَّم والبيت المحرَّم.

وقد سمى الله هذا البيت محرماً ومباركاً؛ بل وسمى البلد التي وضع بها(البلد الأمين) قال تعالى: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾ [سورة إبراهيم، الآية: ٣٧]. وقال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾[سورة التين ، الآية: ٣].وقال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٩٦].

ومادام أن هذه أهميته، وأن هذا قدره في النفوس فإن من حق العباد أن يأتوا إليه ليقدسوا ويعظموا حرمات الله، لذلك قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾. [سورة الحج، الآية: ٣٠]. وقال: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾. [سورة الحج، الآية: ٣٢]. فالمشاعر التي حوله هي من شعائر الله، والمناسك التي عنده هي من حرمات الله، وتعظيمها تعظيم لله. وعبادة لله وليس ذلك تقديساً لتلك البقعة بنفسها، وإنما هي لمعرفة أهميتها ومكانتها، وعظم العبادة فيها وشرفها.

فاجعل أفئدة من الناس

أمر الله نبيه إبراهيم عليه السلام أن ينادي بالحج في قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [سورة الحج، الآية: ٢٧]. ثم إنَّه - كما في بعض الآثار - صعد على جبل أبي قبيس فنادى: «**ياأيُّها الناس، إن الله فرض عليكم الحجَّ فحجوا**»، فسمعه من في أصلاب الرجال، وأرحام النساء، أي: سماع قبول، وإن لم يسمعوا الصوت كما هو، أي: أُلهموه، وقُذِفَ في قلوبهم، وعرفوا حكمه، فإذا جاء الحج، وقرب موسمه، فإن المؤمنين الذين وقرَ الإيمان في قلوبهم، تجدهم في أطراف البلاد وأقاصي الأرض تحن قلوبهم ، ويتمنَّوْن أن يتيسر لهم الحج، فمن تيسَّر له، أتى إليه - رغم مايجد من المشقة والصعوبات ومن لم يتيسر له غَبَط الذين أدوا هذا النسك، وعرفَ فضلهم، وما حازوه من الحسنات.

وقدجعل الله الأفئدة تحنُّ إلى تلك المشاعر استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام، فقال تعالى: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾. [سورة إبراهيم، الآية: ٣٧].، ولم يقل: أفئدة الناس، يعني: أفئدتهم كلهم؛ بل قال: ﴿أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ يعني بعضًا منهم، فالذين يحجون كل عام قسم قليل من المؤمنين في أطراف البلاد.

فضل الحج والعمرة
في الكتاب والسنة

قال رسول الله ﷺ: «**من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه**» وفي لفظ لمسلم: «**من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كما ولدته أمه**».

وقال ﷺ: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المرور ليس له جزاء إلاَّ الجنة**».

والحج المبرور هو الذي لا رياء فيه ولاسمعة، ولم يخالطه إثم ولايعقبه معصية، وهو الحج الذي وُفِّيت أحكامه ووقع موقعاً لما طلب من المكلف على الوجه الأَكمل، وهو المقبول، ومن علامات القبول أن يرجع خيراً مما كان ولايعاود المعاصي. والمبرور مأخوذ من البر وهو الطاعة والله أعلم.

وقال ﷺ لعمرو بن العاص: «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله؟**».

وسُئِلَ النبي ﷺ: أي الأَعمال أفضل؟ قال: «**إيمان بالله ورسوله**». قيل: ثم ماذا؟ قال: «**جهاد في سبيل الله**». قيل: ثم ماذا؟ قال: «**حج مبرور**».

وقال ﷺ: «**تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحج المبرور ثواب إلاَّ الجنة**».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يارسول الله على النساء

جهاد؟ قال: «**نعم عليهن جهاد لا قتال فيه: الحج والعمرة**». وعند النسائي: «. . **ولَكُنَّ أحسن الجهاد وأجمله، حج البيت حج مبرور**».

وقال ﷺ: «**وفد الله ثلاثة: الغازي، والحاج، والمعتمر**».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**الغازي في سبيل الله، والحاج، والمعتمر، وفد الله. دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم**».

وقال ﷺ: «**جهاد الكبير، والصغير، والضعيف، والمرأة: الحج والعمرة**».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت إن رسول الله ﷺ قال: «**ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟**».

وقال ﷺ: «**خير الدعاء دعاء يوم عرفة. . .**».

وقال ﷺ: «. . . **فإن عمرة في رمضان تقضي حجة معي**».

وقال عبدالله بن عبيد لابن عمر رضي الله عنهما: ما لي أراك لاتستلم إلاَّ هذين الركنين: الحجر الأَسود والركن اليماني؟ فقال ابن عمر: إن أفعل فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن مسحهما يحط الخطايا**» وسمعته يقول: «**من طاف [بهذا] البيت سبعاً وصلى ركعتين كان كعتق رقبة**» وسمعته يقول: «**ما رفع رجل قدماً ولا وضعها إلا كتب له عشر حسنات، وحط عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات**».

وثبت عنه ﷺ أن الصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه.

ومن طاف بالبيت العتيق واستلم الحجر الأَسود شهد له يوم القيامة؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ في الحجر: «**والله ليبعثه الله يوم القيامة، له عينان يبصر بهما، ولسان ينطق به، يشهد على من استلمه بحق**».

وعنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «**نزل الحجر الأَسود من الجنة أشد بياضاً من الثلج فسودته خطايا بني آدم**».